نقاش عقدي بين:



و



من كتاب " التدمرية "

كتبه / أبو محمد عبدالله بن عبد الباري التعزي الماوي

نقاش عقدي

بين

سني و أشعري

خلاصة البحث

الرد على الفرقة الأشعرية في عقيدتهم في الصفات الإلهية بطريقة نقاش بين رجلين، أحدهما يمثل مذهب أهل السنة والآخر يمثل مذهب الأشاعرة

وأصل هذا النقاش مأخوذ من كتاب [العقيدة التدمرية] لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

وهو توضيح لقاعدة عظيمة يكررها شيخ الإسلام كثيراً وهي: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

ولكن قمت بترتيب كلام الشيخ وجعله على هيئة نقاش بين رجلين ليكون أوضح، وأيسر للفهم، وربما زدت فيه ونقصت بحسب ما يظهر لي

والله الموفق

مقدمة تمهيدية

- أهل السنة والجماعة يعتقدون وجوب إثبات جميع الأسماء والصفات التي ثبت دليلها بالكتاب أو السنة إثباتاً يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل

- الأشاعرة يعتقدون أن الله عزوجل لا يُثبت له من الصفات إلا أربعة أنواع:

١ _ صفات المعاني وتسمى الصفات العقلية (الإرادة، القدرة، العلم، الحياة، السمع، البصر، الكلام)

٢ _ الصفات المعنوية (القِدم، البقاء، الوحدانية، الغنى المطلق، المخالفة للخلق)

٣ _ الصفات السلبية

٤ _ الصفات النفسية

انظر " الصواعق المرسلة " (١٢٣٤/٤)

وكتاب " الصفات الإلهية " للعلامة الجامي

ولست بصدد بيان ذلك بتوسع، إنما كلامنا في هذا البحث حول القسم الأول وهي الصفات السبع، وينفون بقية الصفات الذاتية والفعلية كالوجه والاستواء وغيرهما

فإذا عورض الأشاعرة بالأدلة الشرعية للصفات التي ينفونها سلكوا مسلكان: إما التأويل أو التفويض

ولذا قال قائلهم:

وكل نص أوهم التشبيها   أوله أو فوّض ورُم تنزيها

← ومن أغلاطهم الكبيرة الاعتماد على العقل وتقديمه على النقل

وليس عندهم فاصل بين ما يتأولونه وما يثبتونه سوى العقل!

فلذا يصول عليهم أعداؤهم حتى من المعتزلة فإنهم يقولون لهم: الحجة التي نفيتم بها ما نفيتم من الصفات هي موجودة فيما أثبتم فيلزمكم نفي ما أثبتم كما نفيتم ما نفيتم

فالأحكام تدور مع العلل وجوداً وعدما

ولعل توضيح ذلك فيما يأتي من النقاش

بداية النقاش

يقول الأشعري: نحن نقر بأن الله سبحانه حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، مريد بإرادة، عليم بعلم، متكلم بكلام، قدير بقدرة

وهذا كله على الحقيقة،

أما الأدلة السمعية التي ورد فيها أن الله سبحانه متصف بالمحبة والغضب والرضى والكراهية وغير تلك السبع الصفات التي ذكرتها آنفاً فكله من باب المجاز وليس على حقيقته

وتفسيرها إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات كالنعم والعقوبات والثواب.

قال السني: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر

فإما أن تُثبت الجميع فتكون ممثلاً على حد زعمك

وإما أن تنفي الجميع فتكون معطلاً كالجهمية والمعتزلة

وإلا فأنت متناقض

فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين قلنا لك فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل بعينه وكلانا نفر منه

قال الأشعري: له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به، وله سمع يليق به كما أن سمع المخلوق يليق به، وهكذا بقية السبع الصفات تليق به سبحانه كما أن هذه السبع الصفات ثابتة للمخلوق لائقة به

قال السني: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضى وغضب يليقان به أيضاً وللمخلوق رضى وغضب يليقان به وهكذا سائر الصفات كلها

قال الأشعري: الغضب:هو غليان دم القلب لطلب الإنتقام وهذا الوصف لا يليق بالله تعالى

قال السني: والإرادة هي: ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا أيضاً لا يليق بالله تعالى

فلماذا أثبتها ونفيت الغضب؟ مع أن كلاهما غير لائقان بالله تعالى على هذا المنظور الذي تخاطبني به أنت

قال الأشعري: هذا التعريف الذي ذكرته للإرادة إنما هو تعريف لإرادة المخلوق أما إرادة الله تعالى فإنها تليق به لا نعرف كيفيتها

قال السني: وكذلك تعريف الغضب الذي أنت ذكرته إنما هو تعريفُ غضبِ المخلوق أما غضب الله فإنه يليق به لا نعرفُ كيفيته

قال الأشعري: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوق فيجب نفيه عنه ([1])

بعبارة أوضح: الغضب والمحبة والرضا وبقية الصفات عدا الصفات السبع لا نعرف لها حقيقة في الواقع سوى التشبيه بالمخلوق فلا يمكن أن تقول في هذه الصفات التي هي غير السبع الصفات إنها ثابتة على ما يليق بالله تبارك وتعالى لأنه لا يظهر منها إلا ما يليق بالمخلوق فلا يوجد منها ما يليق بالخالق بخلاف السبع الصفات

قال السني: هذا ليس بصحيح بل حتى السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والصفات السبع التي أنت تقول إنه يمكن أن تثبت لله على ما يليق به فإننا لا نعرف منها في الواقع إلا ما يليق بالمخلوق!

وعلى هذا المنظور يجب عليكم نفيها كما نفيتم بقية الصفات لأن العلة واحدة ([2]) وبهذا تكونوا قد شابهتم المعتزلة والجهمية

فلا نعرف السمع إلا بأذن ولا نعرف البصر إلا بالعين التي فيها كذا وكذا ولا نعرف الكلام إلا بلسان وشفتين وهكذا السبع الصفات لا ندرك ونتصور منها إلا ما يليق بالمخلوق فهل تثبتون هذه السبع الصفات على ما يليق بالمخلوق أو على ما يليق بالله مع نفيكم لكيفيتها ؟!

---

[1] هذه عبارة أبي العباس ابن تيمية في " التدمرية "

[2] وهي كوننا لا ندرك ولا نتصور ولا نعرف منها إلا ما يليق بالمخلوق، فيلزمهم أن كل صفة هذا حالها يجب نفيها وهم لا يلتزمونه، وهذا دليل تناقضهم، والتناقض دليل البطلان.

وقال السني: فنحن نقول لك فيما تنفيه من الصفات كما أنت تقول للمعتزلي فيما تثبته إذا سألك المعتزلي لماذا تتوقف على نفي ما عدا السبع الصفات ولا تنفي السبع الصفات أيضاً ؟

بعبارة أوضح: إذا قال لك المعتزلي الذي ينفي جميع الصفات: ليس لله إرادة ولا كلام قائم به ولا سمع يسمع به ولا بصر يبصر به. ونفى السبع الصفات التي أنت تثبتها واحتج عليك بأن هذه الصفات لا تقم إلا بالمخلوقات فإنك تبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف الله سبحانه ولا تكن كصفات المخلوقين بل هي صفات تليق بالله سبحانه

فهكذا نحن أيها الأشعري نقول لك في سائر الصفات التي نفيتها من المحبة والرضى ونحو ذلك بأنها كلها صفات عُليا لا ندرك كيفيتها، لكننا نجزم بأنها لا تماثل صفات المخلوقين لأنها تليق بالله جل وعلا وهو القائل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

قال الأشعري: يا أيها السني أنت تظن أني اثبتُ هذه السبع الصفات لإن الله سبحانه يقول: ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾

ويقول: ﴿هو الحي القيوم}

ويقول: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾

ويقول: ﴿ فعال لما يريد ﴾ ويقول: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾

ويقول: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ﴾ ويقول: ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾

ويقول: ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ ويقول: ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾

لعلك تظن أني أثبت السبع الصفات لهذه الأدلة؟

فأنت الآن تريد أن تلزمني بإثبات سائر الصفات التي أنا أنفيها كما أنني أثبت السبع الصفات؛ لأن هناك أدلة دلت على ما عدا السبع الصفات بنحو الأدلة التي دلت على إثبات السبع الصفات

كقوله تعالى :{فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه} فيجب علي أن أثبت المحبة

وتريد مني أن أثبت لله صفة الغضب؛ لأن الله يقول:{فلما اسفونا} أي: أغضبونا {انتقمنا منهم}

وكل دليل من الكتاب أو السنة ورد فيه وصف لله سبحانه وتعالى فأنت تلزمني بأن أثبته لله سبحانه وتعالى

لا لا، هذا لا يمكن فلعلك لم تفهم مذهبي، فأنا إنما أثبت تلك السبعة الصفات بالعقل وليس بالأدلة السمعية

فأنا أثبت السبع الصفات؛ لأن العقل قد دل عليها والعقل هو الأصل الذي به عرفنا وجود الخالق وبه عرفنا صدق الأنبياء

أما أدلة السمع فإنه محتملة للتأويل أو التفويض

فالعقل دل على إثبات السبع الصفات بخلاف غيرها

قال السني: كونك تبني عقيدتك وإيمانك على العقل هذه غلطة كبيرة، وزلة شنيعة، وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك

ولكن أريد قبل ذلك أن تبين لي كيف دل العقل على إثبات السبع الصفات؟

قال الأشعري: المخلوق الحادث يدل على القدرة والتخصيص[3] دل على الإرادة

والإحكام دل على العلم

وهذه الصفات مستلزمة للحياة؛ إذ لا يمكن أن يكون قادراً ومريداً وعليماً إلا إذا كان حياً

والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك

يعني إما ان يكون سميعاً بصيراً متكلماً أو يكون أصماً أخرساً أعمى، والكمال في ثبوتها لا في نفيها، وهذا لا مرية فيه أن الكمال في ثبوتها والنقص في ضدها

قال السني: عندي لك جوابان على هذا الكلام:

أحدهما: أن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين

بعبارة أوضح: أن الشيء إذا كان له أكثر من دليل فإذا غاب أحد الأدلة لم ينتفِ الشيء المدلول؛ لأن هذا الشيء ثابت بأدلة أخرى

---

[3] وهو كون هذا أبيض وذاك أسود وذاك أحمر وهذا غني وذاك فقير وهذا سمين وذاك نحيف وو.. إلى آخر ذلك، فلو لم يكن له إرادة لخالق هذه المخلوقات لكانت هذه الأشياء كلها متساوية على نمط واحد ولكن لما اختلفت دل على التخصيص أي أنه هو يريدها، هكذا يريد هذا هكذا ويريد هذا هكذا

فهب وافترض أن الدليل العقلي الذي سلكته لا يثبت بقية الصفات فإنه لا يدل على نفيها أي: كون الدليل العقلي لم يدل على إثباتها من أين لك أنه يدل على نفيها ؟!

وليس لك أن تنفيها بغير دليل؛ لأن النافي يجب عليه الدليل كما على المثبت الدليل، والسمع قد دل عليها ولم يعارض ذالك معارض عقلي ولا سمعي فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارِض المقاوم

وأما الجواب الثاني: فاعلم أن زعمك أن العقل لم يثبت من الصفات سوى هذه السبع الصفات أن هذا غير صحيح ففي الواقع نحن لا نسلم لك به؛ لأنه يمكن إثبات كثير من الصفات التي نفيتها بنظير ما أثبت به تلك السبع الصفات من العقليات

فنقول لك مثلاً: نفع الله تعالى للعباد بالأحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على التي أثبت بها صفة الإرادة والمشيئة

وإكرام الطائعين يدل على محبته لهم، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم لهم

كما قد ثبت بالشاهد والخبر من إكرام الله لأوليائه وعقاب أعدائه والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته [4] تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة بل وأولى لقوة العلة الغائية

---

[4] الغايات المحمودة هي: ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة.

فأنت قلت بأن التخصيص الحاصل في الكون يدل على الإرادة فالغايات التي تعقب أوامره ونواهيه وهكذا مخلوقاته تدل على أنه إنما يفعل لحكمة ويأمر وينهى لحكمة، بل هذا أوضح وأقوى دلالةً من دلالة التخصيص على الإرادة؛

ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة

فلماذا يا اشعري تثبت الإرادة وتنفي الحكمة؟

وأما اقتصارك على إثبات الصفات بالعقل فهذه أيضاً غلطة كبيرة؛ لأن العقل قاصر عن إدراك جميع صفات الرب سبحانه بل كان الواجب عليك في إثبات الصفات كلها هو الإعتماد على أدلة الكتاب والسنة؛ لأنها من عند الخالق الذي لا يغلط ، زد على ذلك أنه هو الذي يخبر عن نفسه أنه متصف بهذه الصفات وكلامه لا يأتيه الباطل مطلقاً، لا من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

ولا يخالف العقل بل موافق للعقل السليم

فما عليك إلا أن تسلم لكل ما جاء بأدلة الكتاب والسنة واعلم أن كل ما فيهما لا يعارض العقل بل هو مطابق للعقول السليمة والفطر المستقيمة

نهاية المطاف

هنا كان على الأشعري أن يتواضع للحق الذي أفاده به السني

ويقول: جزاك الله خيرا بان الحق كفلق الصبح لذي العينين

أن الله عز وجل متصف بالصفات العليا اتصافاً يليق بجلاله، لا تتوهمه عقولنا لضعفها وليست صفاته كصفات خلقه؛ لأن صفات الخالق كاملة من كل وجه وصفات المخلوق ناقصة من كثير من الوجوه والحمد لله